كتـب

مدن الرجل المهاجر

تأليف : محمد الحبيب السالمي
نقـد : سـوف عبيـد

تجيء هذه الاقاصيص من موقع خاص من زمنية ما . موقع الريف العربي بالقطر التونسي من مناخ اجتماعي تسوده البنية العشائرية(*) .

فكانت الزيتونة منتشرة في غضون هذه الاقاصيص كما هي متواجدة على كامل المساحة للبلاد التونسية تقريبا .

ان الزيتونة مكان اجتماع الام والابن او عناق الاصل بالفرع تحت ظلها يقول وعندما تصلين الى الزيتونة الكبيرة التي تسمينها زيتونة الكلب لانه مات تحتها اجمل كلب حرس بيتنا ودواجننا يا امي تجلسين غير عابئة بأعواد السيتون والاوراق اليابسة التي توخز احيانا فتحدث ذلك الالم الذي نحس به (ص . ٣٧) ويقول : وعندما يقبل الليل ونشرع في جمع الحطب اجلس امامك واقفا رافعا راسي مغلقا فمي فاتحا عيني تماما كما لو كنت في الكتاب (ص . ٣٨) .

الزيتونة اذن مخزن الماضي لان فيها جميع العناصر المكونة له سواء كانت مفرحة او محزنة وهذه الزيتونة منسوبة الى الكلب الامين الجميل وهي غار الوحي الذي تعلم فيه هذا الابن من امه ما لم يعلم علمتني يا امي ... علمتني يا امي ! !

الزيتونة ايضا تجلي الحقيقة وازاحة الستار يقول وعرفت بعد ذلك يا امي ان ابي لم يكن يحبك حبا كبيرا عرفت كل ذلك وانا تحت زيتونة الكلب . وهي ايضا تمثل التجربة المعاشة في مستقبل هذا الابن فهي مصداق الحديث او اليقين وتحقق رؤيا الام يقول سنلتقي يا امي واحدثك عن النساء الاتي حدثتني عنهن كثيرا ونحن جالسان تحت زيتونة الكلب (ص . ٣٨) .

ويصبح للزيتونة ضرب من القدسية عند الام لانها الموضع الذي دفنت فيه القفل حسب ما اشارت عليها احدى العرافات كي لا يموت هذا الابن مثل بقية ابنائها يقول : نصحتك امراة بأن تشتري قفلا وتقفليه ثم تحتفظي بمفتاحه عندك ... وحملت معك رفشا واخفيته تحت زيتونة الكلب (ص . ٣٨) .

ومن هنا ترتبط العلاقة متينة بين الزيتونة وبين الابن لانها مخبأ سر تواصل حياته ووجوده .

وفي قصة شيء من حكاية قديمة (ص.٥٧) يجلس

الابن تحت الزيتونة ويذكر طفولته كأنما هذه الزيتونة طريق العودة الى الأصل الذي فارقه ويشعر نحوه بالحنين وبالذنب كأنما للزيتونة عليه حق فجلس تحت الزيتونة لانه لم يجلس تحتها منذ زمن طويل (ص . ٥٧) .

وظل هذه الزيتونة يكاد يشمل كل اطراف الأرض فكأنها قد حوت اطراف العالم يقول : امتد ظل الزيتونة في اتجاه القبلة فشمل قطعة كبيرة من الارض (ص.٥٧٠). ويقول في (ص . ٥٧) ايضا وتبين له وهو جالس على الجذع ان الزيتونة قد كبرت وان اغصانها تلامس الارض !

فالزيتونة اذن هي المنبت وهي الارضية التي اخصبت هذا الابن الذي سيصبح رجلا وهي الام اي الأمل الغامض الحزين المتجهم وهي اخيرا الملجأ والسند لهذا الصبي . وهذا الرجل المهاجر عندما جاء في مساء صيف قديم الى القرية فانه قادم ليزرع زيتونة يقول : قادم لازرع فيكم زيتونة قديمة طالعة من عمق الارض (ص . ٦٦) .

ثم ان هذا الرجل القادم للبناء بكل ما تمثله عملية البناء من خلق وابداع وتهديم وتشييد لفائدة تلك القرية فان هذا الرجل قد رأته امراة وفي عينيه زيت (ص.٧١).

اذن الزيتونة هي الزيت والابن هو الرجل !

فمن هو هذا الرجل ؟ !

رجل معرف بال :

متى ستكبر احبيب ؟ متى سأراك رجلا ذا قامة طويلة كهذه النخلة ! (ص . ٢٨) .

وعندما اقبل القطار امسكك من يدك وقال لك اريد ان تكون رجلا كأبيك ! (ص . ١٦) .

يبدو هذا الاب ريفيا ذا عقلية عربية اسلامية من اصيلي ولاية القيروان يقول اسكن قرية في جنوب القيروان (ص . ١٦) . وهذا الاب رجل محافظا فهو متدين يكره الدجل والسحر ويعتبر هذه الامور كفرا **وبدعة وهو يقوم بواجباته بانتظام ويراقب النساء عن التحدث الى الرجال والنظر اليهن (ص . ٨٥) »**

وهو ذو وقار وله مكانة متميزة في القرية وهو يقوم بواجباته الدينية بانتظام ويراقب النساء عن التحدث الى الرجال والنظر اليهن (ص . ٨٥)

وأراد هذا الابن ان يكون مثل ابيه محافظا على عاداته يقول : عندما اعود الى القرية يأتي يوم العيد يزورني الناس عند الصباح فاسلم عليهم بوقار مثلما كان يفعل ابي كل عيد سأوزع الزكاة ساعطيهم قمحا وشعيرا وحنطة وفولا (ص . ٣٨ و ٣٩) .

وهذا الاب صبور متجلد متجهم عند حدوث المصائب عند موت الام مثلا يقول : وجدتك قدمت والنساء حولك يبكين وآبي جالس تحت زيتونة الكلب مخفيا راسه بين يديه وحوله الناس يبكون ويهمهمون ... لم اسمع له همهمة ولا بكاء وتساءلت لماذا لا يبكي أبي ؟ (ص.٣٧٠).

وهذا الابن يذكر اباه عندما كان الاب يبحث عن برنسه الابيض الطويل الذي صنعته له في الشتاء الماضي والذي يحبه كثيرا ويفضله على ملابسه الاخرى لانه يغطي كل جسده فيصل الى الارض (ص . ١٥) . ونجد هذا الابن الرجل فيما بعد متعلقا ومتشبثا بهذا البرنس يقول ووقفت امام ابي وتشبثت ببرنسه الطويل (ص . ٣٧) .

وان هذا الرجل القادم ليبني مدينة كان يلبس بذلة سوداء غطت كل جسده حتى كادت تلامس الارض (ص . ٦٧) .

فهذا الرجل يشبه الى حد بعيد صفات الاب فكل منهما يلبس لباسا يغطي كل جسده حتى يكاد يلامس الارض او فيصل الى الارض فان نفس العبارة تقريبا نجدها عند ذكر هذين الرجلين الا ان الاب كان ذا برنس ابيض ورجل المدن المهاجر ذو بذلة سوداء وبين اللون الاسود والابيض صلة التضاد .

ولعل ذلك المنظر الذي علق بذهن الصبي وهو يتشبث بثياب ابيه قد كان له دلالته المعنوية فكان يعني ايضا تعلقه بسمات الاب العامة التي نجدها في سمات رجل المدن المهاجر .

رجل محمد الحبيب السالمي هو ليس حسب قوله مثل بقية الرجال الذين لا خوف عليهم صحاح الاجساد بيض الاسنان يأكلون ثلاث مرات في اليوم يتجولون في الشوارع ويشاهدون العمارات وينكحون ما يشاؤون من النساء (ص . ٦٧) بل انه رجل مقصود مخالف للمعهود ويمتاز بأنه متعب يحمل هموم المدينة فهو مأزوم ضارب في القدم ومتوغل في المستقبل .

انه رجل معرف بأل التي تحمل كل الصفات التي ينفرد بها .

الرجل المتعب والحزن الرجل :

حرك رجليه الفاترتين (ص . ١٦) ذلك هو الرجل الذي نراه يمشي نحو حديقة عمومية والعرق يبلل كل جسده ذلك هو الرجل الذي في قصة مدينة الوهم حزنها في القلب .

وفي قصة مدن الرجل المهاجر وهي عنوان المجموعة القصصية تبدأ بقدوم رجل يحصل في عينيه اتعابا وفي رجليه شقوقا وكان رجلا غريبا تحس عندما تراه لاول مرة انه طالع من عمق البحر او قادم من جزيرة بعيدة (ص . ٦٦) . وهذا الرجل غريب فهو لم يكن ينتظره احد ولم يكن يعرفه أحد (ص . ٦٦) .

وفي قصة حافلة الليل الممطر نعثر على رجل يقف

ليحتمي من المطر لاهثا من التعب يقول : وقد وقف الى الى جانبك وهو يلهث (ص . ٢٠) .

وفي قصة اطعمة المدن المتعفنة هناك رجل بصيفة المخاطب المفرد يقول انت كنت تمد رجليك الى الامام في ارتخاء وتباطؤ غير عابيء ببرك الماء الصغيرة على الارض (ص . ٣١) .

وفي قصة الضربة هناك رجل يقول متعب مهموم كانت رجلاه المتورمتان تتحركان في صعوبة على مربعات جليزية متداخلة (ص . ٣٢) لكن هذا الرجل ايضا يقول: قد شعر بالخور والاعياء فاسند ظهره المنحنى الى عمود مرمري قرب نافذة مفتوحة تطل على حديقة صغيرة (ص . ٣٤) .

وفي قصة الوجه الذي لا يأتي (ص . ٣٥) نجد الابن الذي كبر وأصبح ذا احلام بالغربة والسفر طويلة ومضنية (ص . ٣٥) .

وهو اذا تجول مع صديقته فهو يقطع معها الشوارع تلو الاخرى حتى يصيب مفاصله التعب ويشيع الوهن في عظامه (ص . ٣٦) وهو اذا عاد الى فراشه بل الى غرفته يدلف اليها دون ان ينيرها ويستلقي على فراشه ثم يبكي (ص . ٣٧) .

وفي قصة الموت جن خلال جدار مدينة يكون ضمير المخاطب المفرد يقول : انت تتحرك برجليك وبديك كتلة واحدة (ص . ٤٢) .

وهو رجل تغوص رجلاه في رمل احمر ساخن (ص . ٤٣) وهو رجل ملقى على الارض (ص . ٤٤) وهو رجل يتامل بعينين معتمتين فيهما حزن وغربة (ص . ٤٢) وهو رجل غريب في مدينة غريبة (ص . ٤٢) فهناك بعد شاسع بين المدينة وبين هذا الرجل الذي يفكر ببراءة وسذاجة كالاطفال (ص . ٤٢) .

وهو رجل ايضا يجد الحزن جميلا وعميقا (ص . ٨٨) وهو رجل مظلوم مقتول ممزق لم يفهمه احد (ص . ٩٩) يعيش في مدينة حزينة المساءات حزينة الاشجار وحزينة البناءات (ص . ٩٨) كل ذلك في قصة الحزن .

ويسيطر على هذا الرجل الحزن حتى يصير الحزن ضربا من المتعة واللذة يقول : يكون قد بكيت وتكون قد ذهبت الى زيتونة الكلب فانت تحب ان تختلي بنفسك وتبكي يا رجلا تجد لذة في البكاء وكذلك يا رجلا تبكي في المدن عندما يقبل الليل وتكون وحيدا في محطات السفر الحزينة تنتظر قدوم القطارات ! (ص . ٤٣) .

الرجل الحبلي :

ذلك هو الرجل الذي نجده في هذه القصص ان من سيماته الحزن والتجهم والتعب والغربة والحلم . يحمل اوجاعنا اليومية ويريد ان يغير انه رجل المخاض والمنلوب على امره والذي يرفض ان يكون سائرا في القطيع فيواجه بذلك الضغوط المختلفة ويعيش تناقضاته المختلفة لكن هذا الرجل يواجه ويفعل ثم يهاجر .

(*) من تقديم خالد النجار .

الاقلام في عددها القادم

تعبر عن احتفالها بالذكرى الثانية والثلاثين

لتاسيس حزب البعث العربي الاشتراكي

قصص ، قصائد ، دراسات ، كتب ، استفتاءات

ادبية وفنية .

الابعاد الحضارية واللغوية في قصيدة "قبر من أجل نيويورك لادونيس"

سوف عبيد

أدونيس من الشعراء العرب الذين طرحوا مسألة الحداثة في كتاباتهم التنظيرية وفي ابداعاتهم الشعرية وقصيدته قبر من أجل نيويورك يمكن اعتبارها مجالا هامّا لتحسّس خصائص القصيدة العربية الحديثة .

ملامح القصيدة

القصيدة عشرة مقاطع مرقمة بالأرقام الرّومانية ووردت بعض المقاطع مجزءة الى فقرات صغيرة تحمل في أولها أرقاما أو حروف الأبجدية وقد كتبت بعض الكلمات والأسطر بالخطّ البارز بينما وزّعت القصيدة توزيعا خاصا على الصفحات مستعملة الأقواس والفواصل والعلامات المختلفة بل ان بعض الجمل جاءت باللغة الانقليزية مكتوبة بالحروف اللاّتينية . فالقصيدة من هذه النواحي لها بعد بصريّ قد يختفي هذا البعد عند عملية النطق والاستماع أو عند تغيير طبعها ونسخها والمهمّ اذن أن الميزة التشكيلية هي احدى خصائص هذه القصيدة .

الرحلة في المدينة

معالم مدينة نيويورك واضحة في القصيد من أسماء الشوارع والاحياء وأهمّ الأماكن الى شخصياتها التاريخية والسياسية وأوّل معلم قابل أدونيس هو تمثال الحريّة :

نيويورك .
امرأة ـ تمثال امرأة .

في يد ترفع خرقة يسمّيها الحريّة ورق نسميّة التاريخ وفي يد تخنق طفلة اسمها الارض . فهذه الصّورة التي تبتدىء بها القصيدة دلالة على ظاهرة التلويح بالقيم الانسانية كشعارات جوفاء تفضحها الممارسات التاريخية من جرائم في حق الانسانية فتمثال الحرية الذي في مدخل نيويورك جعله مجردا من النبض والشعور فهو مثال للقسوة وللدمار فيصبح ذلك التمثال شاهدا على الجبروت وليس معلما للحرية ورمزا للمبادىء التي ينادي بها العالم الحرّ .

بهذا الشعور المخيب للظنّ تنطلق رحلة أدونيس في أكبر مدن العصر الحديث قائدة الحضارة الجديدة :

حضارة بأربعة أرجل
كلّ جهة قتل وطريق الى القتل
وفي المسافات أنين الغرقى .

فادانة حضارة هذه المدينة أمر واضح في القصيدة لم يستطع الشاعر أن يتواجد فيها ويتواصل معها لأنها (شباك مغلق) وهي ملآنة (بالسجناء والعبيد واللّصوص والمرضى) . وقد حاول الشاعر ان يلج هذه المدينة ولكن ليس فيها (طريق ولا فتحة) برغم انه قال كلمة السرّ الاصلية ألا وهي انسانية الانسان فكيف يدخل المرء مثل هذه المدن ؟ (الدولار) هو مفتاح مدينة نيويورك تقول القصيدة :

بين الورقة ـ العشب والورقة ـ الدّولار

لقد انتفت العلاقات الانسانية وحلّ مكانها تحالف غريب وزائف بين الانسان والاشياء على حساب علاقته بأخيه (النظام الذي يبني العالم هو الذي يبدأ بقتل الأخ) وصار أهل هذه المدينة (قلوبا محشوة اسفنجا والايدي منفوخة قصبا) والحياة فيها ليست الاّ سوق عبيد من كل جنس معلنة عصر الانسان البضاعة واندحار الفرح الى الابد في هذه المدينة لانها قائمة على مأتم الانسان .

الشمس مأتم
النهار طبل أسود !

القطيعــة

ان الصورة الأولى التي كانت للغرب في كتابات الأدباء العرب مليئة بالاعجاب حدّ الانبهار منذ الطهطاوي في القرن التاسع عشر الى طه حسين وتوفيق الحكيم في أوائل هذا القرن ولا يمكن ان نستثني الاّ البعض مثل بيرم التونسي حيث وقف على مظاهر الاستغلال والميز العنصري ثم بظهور الجيل الأخير من الأدباء بدأت صورة الغرب تختفي منها مظاهر الاعجاب لتستقر رويدا في اطارها الحقيقي وذلك مع كتابات ميخائيل نعيمة وسهيل ادريس والطيب صالح مثلا .

ان قصيدة قبر من أجل نيويورك مرحلة جديدة في علاقة الأدب العربي المعاصر بالحضارة الغربية فالعنوان يوحي بالموت (القبر) :

نيويــورك
امرأة من القشّ والسرير يتأرجح بين الفراغ
والفراغ وهاهو السقف يهترىء : كل كلمة
اشارة سقوط كلّ حركة رفش او فأس . . . .

فكلمات القشّ ـ الفراغ ـ الاهتراء ـ السقوط ـ الرفش ـ الفأس ـ علامات على أفول الحضارة الغربية ودخولها مرحلة الضراوة والتقهقر والموت ألا وهو القبر الذي يحوي جميع تلك المعاني ففيه الفراغ والاهتراء وهو الذي يحفر بالرّفش والفأس فما العنوان الاّ نعي لحضارة العالم الجديد "أنها حضارة مقبلة على (معركة بين العشب والأدمغة الألكترونية) وتمضي القصيدة في فضح وحشية مدينة نيويورك مستغلّة خيرات الشعوب ولكن الكارثة ستحلّ بالمدينة :

ثلجك يحمل اللّيل . ليلك يحمل النّاس كالخفافيش
الميّتة . كلّ جدار فيك مقبرة

ان الموت ينتظر حضارة العالم الجديد لأنها حضارة قائمة على (القفص والسّوط والقتل والدرهم)كلّ شيء في منظورها للبيع حتّى (النهار والليل ـ حجر مكّة وماء دجلة ـ فلسطين والفتنام) . والمبادىء الانسانية السّامية مجرّد تمويه وخدعة في وجه الشعوب المستضعفة (تماثيل الحرّية مسامير مغروسة في الصّدر) .

فقصيدة أدونيس تفضح خلفيات مدينة نيويورك وتظهر عفونتها على السطح من مأساة الزنوج الى دسائس (البيت الابيض) حيث تصبح المرأة فيها قمامة والناس مجرّد (كلاب تجارب) فهي مدينة مات فيها النّسغ الانساني انها مدينة بلا قلب فهي (صغيرة تتدحرج فوق جبين العالم) ويصل بذلك الشاعر الى موقف القطيعة مع هذه المدينة بل يتجاوزه الى اعلان المواجهة الحاسمة :

لنرفع الفأس الآن !

إن موقف أدونيس في هذه القصيدة من الحضارة الجديدة كان أحادي الجانب ومنطلقا من موقع ردّ الفعل تجاه غزوها للشعوب المستضعفة ولئن كان نقاش هذه الفكرة ليس هذا مجالها الا أنّه لا يمكن ان نتجاهل الانجازات النيّرة لهذه الحضارة عمومها ولن تنهار هذه الحضارة بسهولة فهي ما زالت في أوج مدها وليس من صالحنا أن نحلم بسقوطها بل من واجبنا أخذ مفاتيح قوّتها وهذه دعوة الى تقييم الحضارة الغربية تقييما موضوعيا بعيدا عن الانبهار وبعيدا عن الاحتقار أيضا ذلك ان ركب الحضارة يسير دائما في طرقات الشعوب القوية .

العـودة الى الـذات

في خضمّ أتون مدينة نيويورك وجد الشاعر نفسه يعود الى ذاته متلمّسا جذوره ليثبت وجوده في مهبّ الحضارة الغربية (الشرسة) التي لا تعترف الاّ بالدّمار وبآلات الخراب وهو عندما يعود الى الذّات انما يتسلّح بالعناصر الفاعلة الحضارة العربية والعالمية من أمثال : (صاحب الزّنج ـ النّفري ـ المعرّي ـ عروة بن الورد ـ جبران ـ قيس وليلى ـ) فهو يستحضر بهؤلاء جميعا القيم الانسانية الاصيلة المتقدمة وهي خاصة على المنوال الآتي :

العقل ←ـ المعري
الثـورة ←ـ الزنج
التصـوّف ←ـ النفري
الاشتراكية ←ـ عـروة
الطبيعة ←ـ جبران
الحـب ←ـ ليلـى

ويضيف أدونيس الى هؤلاء أعلاما من الفكر الانساني وقفوا ضدّ تدهور الحضارة الغربية في مظاهر استغلالها واستعمارها مثل

(ماركس ـ لينين ـ ماوتسي تونغ ـ هوشي منه ـ غيفارا ـ) وهو في القصيدة يدعو الى هذا (الوعي الجديد) حتى نكتشف (الافق الجديد) والذي تنبغي الاشارة اليه أن العودة الى الـذّات عند أدونيس في هذه القصيدة كانت مصحوبة بتعرية الواقع العربي المتخلّف والذي يصل الى حدّ العجز والانسحاق والتذليل تقول القصيدة :

(من المحيط الى الخليج لا أسمع لسانا
لا اقرأ كلمة . أسمع تصويتا لذلك لا ألمح
من يلقي نـارا .)

فكان الشاعر بذلك مصطليا بنهب نارين هما ضراوة مدينة نيويورك وخمول واقع الوطن العربي فزاد الجرح عمقا واتساعا فوجّه ادونيس الادانة إليهامعا ولكن ليس بنفس الدرجة لأن ادانة مدينة نيويورك وصلت الى حدّ المواجهة بينما ادانة الذّات لم تتجاوز حدود العتاب ويمكن ان نقارن هذا الموقف من الوطن العربي بقصيدته مقدّمة لملوك الطّوائف التي يبدو فيها أعنف وعمليّة قراءة الآثار المتنوعة للشاعر ومقارنتها بأعمال معاصريه من الشعراء ووضع ذلك في المسار الشعري والسياق الثقافي والحضاري كلّ ذلك يمكّننا من قراءة النصّ قراءة متفاعلة فالنّص لا يمكن أن يكون مستقلا بذاته بل هو مفتوح على نصوص أخرى وقيمة النّص هي في عمق جذوره وكثافة مدلولاته .

وعليه فإن هذه القصيدة تطرح الموقف من الغرب وتفضحه وتدعو الى مواجهته وتبشر بخرابه وهي كذلك دعوة الى احياء القيم الانسانية المتقدّمة في حضارتنا ودعمها بالانجازات الثورية في العصر الحديث وهذه المسائل جميعا هي من أطروحات مسألة الحداثة التي لم تخرج عن مقولتين أسايتين هما : التراث والغرب والتوفيق بينهما بطريقة أو باخرى يظل الحلقة التي نبحث عنها منذ عصر النهضة الى الآن والقصيدة العربية الجديدة ، بحث واجابة بطريقتها عن مسألة الحداثة .

فضاءات القصيـــدة

تتضمّن قصيدة أدونيس مجالات عديدة من المعاني والمسائل يمكن تبويبها ودرسها وهي خاصّة :

1 ـ الفضاء المكاني : يشمل نيويورك بشوارعها ومعالمها ـ المدن الامريكية ـ بيروت ـ فلسطين ـ فتنام ـ دمشق ـ الفرات ـ كوبا ـ القاهرة ـ مكة . . . .

فالقصيدة متوأمة الأطراف مما يجعلها تحيا في مناخات وفي حضارات عديدة وكل ذلك يعطيها خصبا وشموخا .

2 ـ الفضاء الزّماني : يشمل زمن الاغريق وعصر الاسلام والعصر العبّاسي وعصر النهضة الأوروبية مرورا من أرسطو الى علي بن أحمد حتى ديكارت ومشيرا الى تاريخ أمريكا حتّى يصل الى وقائع السنوات الأخيرة حتى سنة 1973 فالفضاء الزّمني يشمل حقبا متعددة وعصورا متداخلة منذ بدء الحضارة تقريبا الى عصر الذرّة والألكترونيك فزمن القصيدة هو عمر الانسانية من وجهة نظر أدونيس :

ث في الثمانين أبدأ الثامنة عشرة)

3 ـ الفضـاء اللغوي : فهـو مجال فسيح للدّراسة في هـذه القصيدة التي تضمّ اللّغة العربية واللّغة الانقليزية وكذلك لغة الرياضيات من أرقام مختلفة وطرح وضرب والمجال اللّغوي يعطي للقصيدة ابعادا وثائقية كثيرة تحتاج الى قارىء واسع الاطّلاع لأن مدلولاتها القصيدة تشمل معارف شتّى فمن الاحالات التاريخية الى المناطق الجغرافية ومن الاشارات الفلسفية الى الأحداث السياسية والأماكن السياحية وأسماء الشركات الأجنبية فلغة القصيدة تعكس ثقافة متينة لرجل يتجوّل في مدينة متقدّمة والمهمّ أن لغة القصيدة شملت تعبيرات متنوعة وشفرات متداخلة .

4 ـ الفضاء المعرفي : نعتبر أولا أن الفنّ معرفة من المعارف تسجل الخبرة والوقف فطريقة التعامل مع اللّغة في الشعر تعكس موقف الشاعر من اللّغة والقصيدة اضافة الى الموقف اللّغوي المتحرّر تطرح بطرق مختلفة مسائل هامة تتطلب أفقا معرفيا هاما وهي خاصة : (علاقة العرب بالغرب ـ العالم المصنع ـ العالم الثالث ـ التراث ـ التقنية ـ الميز العنصري ـ قضايا التحرر ـ)

مستويات الخطاب

القصيدة قائمة على تنوّع الصيغ الخطابيّة فهي لا تخضع الى التواتر والتوليد والتسلسل بل تكمن في تنوّع طريقة الابلاغ القائم على مستويات عديدة منها خاصّة :

1 ـ المستوى القصصي : وهو يعتمد على الوصف مع المحافظة اجمالا على البنية العادية للجملة مثل : (استيقظ وفي عينيه اطمئنان ممتزج بالقلق ، يترك زوجاته وأبناءه ويخرج حاملا بندقيته)

2 ـ المستوى المتقطّع : وهو الكلام الذي يجيء في القصيدة على غير منوال نحوي معروف مثل : امرأة ـ تمثال امرأة) و (أوّل

التعب أيها الزنجي الشيخ الزنجي الطفل الى . التعب أيضا وأيضا)

3 ـ المستوى المكتوب والمنطوق : وهو استعمال دلالات الكتابة والنطق فتصبح القصيدة وهي مكتوبة ذات بعد نطقي والعكس مثل : (قلت أغرى بيروت ماتت الكلمة أقول اكتبوا ولا اقول انسخوا)

4 ـ المستوى الباطني : فالشاعر يتكلّم عن هواجسه أحيانا وهو بذلك يتكلّم عن كلامه مثل : (أعترف ـ شعرت ـ أنني ذرّة ـ أذكر أنني كتبت)

5 ـ المستوى الحواري : يلجأ الشاعر الى الحوار والتخاطب في القصيدة مثل : (كم طفلا قتلت اليوم ؟)

6 ـ المستوى التنظيمي : وهو خاصّ بالفنّ الشعري في هذه القصيدة مثل : (الشعر وردة الرّياح لا الريح بل المهبّ لا الدّورة بل المدار)

7 ـ المستوى التضميني : لجأ الشاعر الى تضمين بعض النّصوص في نصّ قصيدته وهذا يعطي للقصيدة أكثر من مصدر مثل : (أقسّم جسمي في جسوم كثيرة) العروة بن الورد و (سنستبدل الرّجال بالنّار) لمكنمارا

فمن خلال هذه المستويات جميعا للخطاب في هذه القصيدة يتنوّع فيها النّسق الكلامي والمصدر الاعلامي والمدلول المعجمي فيضفي على القصيدة عدة موجات متلاحقة ومتداخلة ومتنوعة تزيدها بعض الكلمات تكرارا (نيويورك ـ هارلم ـ لنكولن ـ بيروت) بين الفقرة والفقرة وتنغيما موسيقيا يلعب دور الدّافع والدّافع فتصبح هكذا القصيدة ذات حركات مندفعة حينا وبطيئة حينا آخر يزيدها الحسّ التشكلي رسوخا وتأثيرا .

ويمكن أن نقارن هذه القصيدة لأدونيس بقصيدة قدّاس جنائزي من أجل نيويورك للبيّاتي فنقف على مدى المدلول الفنّي والبعد الفكري بين القصيدتين فقد يقع الحافر على الحافر اذ الشعر ميدان والشعراء فرسان كما قال ابن بسام الأندلسي .